سبب تحرير غلاطية

بيبليا
الأخت باسمة الخوري
الأنطونية
كانون الأول ٢٠٠١

مقدمة

تشكل الرسالة الى الغلاطيين نقطة انطلاق مثالية للتعرف الى ايمان وعقيدته المرتكزة على الإنجيل المحرِّر"*لم يعد هناك يهودي ولا يوناني*" (غلا ٥: ١) و"*المسيح حرّرنا لنكون أحراراً*" (غلا ٥: ١). وتكشف النزاعات التي تعكسها هذه الرسالة العقائد التي يؤمن بها وغير المعلنة بوضوح. يعبّر بولس عن مميزات ايمانه ليدافع عن انجيله المهدد من قبل اعدائه. فبما يقوم هذا الإنجيل بنظر رسول الأمم، وما هي الأسس التي يحاول التعبير عنها في هذه الرسالة؟ ولماذا؟ لا يمكننا التطرّق الى موضوع بهذه الأهمية دون العودة الى الاطار الاجتماعي والتاريخي الذي يحيط بالرسالة الى الغلاطيين.

كتبت هذه الرسالة الى كنائس غلاطية في آسيا الصغرى. ويبدو من خلالها ان الغلاطيين كانوا ، قبل اهتدائهم الى المسيحية، وثنيين يعبدون "*آلهة ليست بالحقيقة آلهة*" (٤: ٨) يسمّونها "*قوى الكون الأوّلية*" (٤:٣)، مما يعني انهم كانوا يتبعون بعض الديانات الكونية. ويمكننا الاعتقاد بأن الغلاطيين كانوا يتمتعون بثقافة عالية بالنظر الى صعوبة البراهين التي يعطيها بولس في رسالته، خاصة وانه يفترض انهم يعرفون تعليم الفلسفة الشعبية الأخلاقي (٥: ١٩-٢٣). أما الأسباب التي دعت بولس لتوجيه هذه الرسالة فهي واضحة ومفصّلة.

لقد أسس بولس الكنائس بإعلانه "*الإنجيل دون الشريعة*"، فوصل الى غلاطية، بعد ذهابه، رسل يعلنون "*إنجيلًا آخر*" ويفرضون على الغلاطيين الختان واتباع الشريعة. أثناء الشتاء الأخير الذي قضاه بولس في أفسس، بعد زيارته الثانية الى غلاطية (غلا ٤: ١٣ ؛ أعما ١٨: ٢٣)، علم أن بعثة غريبة تنادي بالعودة الى الشريعة اليهودية قد دخلت وعملت في جماعات غلاطية، وبما أن مغادرته السريعة نحو مقدونيا في ربيع سنة ٥٥ ، في رحلة لجمع المساعدات لكنيسة أورشليم، لم تسمح له بالعودة الى غلاطية والسهر شخصياً على حسن سير الأمور، ما كان منه إلاّ أن كتب رسالته الى غلاطية أثناء سفره. كانت رحلة جمع المساعدات هذه قد استحوذت على كل اهتمامه، فلم يكن الخطر المداهم الآتي من الشمال

الشرقي في وقته، خاصة وان المسألة التي يثيرها هذا الخطر كانت بنظر بولس قد انتهت منذ اجتماع الرسل في أورشليم[1]. فما هي هذه الجبهة المناوئة لرسالة بولس والتي تنادي بغير ما ينادي به؟

كان هؤلاء المبشرون المسيحيون يعارضون ممارسة بولس الرسولية ويرفضون سلطته. فبالنسبة اليهم يجب ختن الوثنيين الذين يلبون دعوة الانجيل وفرض أحكام الشريعة اليهودية عليهم (غلا ٥ :٣)، ويبدو انهم كانوا يعتقدون من جهة بأن بولس قد ارتكب غلطة فادحة بالتبشير بإنجيل دون الشريعة، بهدف اقناع الناس بالمسيحية (غلا ١: ١٠)، بأنه بالأصل ليس رسولاً حقيقياً، بما ان ما تلقاه من المسيحية لم يتلقه من يسوع نفسه بل من كبار الرسل في أورشليم، وقد خان تعاليمهم وحرّفها[2]. وربما أكدوا ايضاً بأنه اعترف في الماضي بضرورة الختان فبشّر بذلك قبل وصوله الى غلاطية (٥ : ١١). كان هؤلاء المبشرون يهدفون الى اصلاح أخطاء بولس لأنهم يعتقدون أنفسهم المحافظين على المسيحية الحقة التي تنبثق من جماعة أورشليم، وبالتالي من يسوع نفسه.

عندما كتب بولس رسالته، لم تكن النتائج التي توخاها هؤلاء المبشرون قد تحققت كما يأملون. فالغلاطيون لم يكونوا قد انقطعوا بعد عن بولس، لكن يبدو أن بداية ارتدادهم عما بشرهم به بولس كانت قد ظهرت (غلا ١: ٦ ؛ ٣: ١-٢). فقد بدأوا بمراعاة الأعياد اليهودية (٤: ١٠) ؛ وكأنهم لم يكونوا بعيداً عن الرضوخ لمبشريهم بما يتعلق بالختان (٥: ٢ ؛ ٦: ١٢). وبما ان المنازعات والخلافات تظهر وتنمو عادة في مثل هذه الحالات، فربما كان انتفاء المحبة التي يلوم بولس المسيحيين عليها (غلا ٥: ١٥) على علاقة مع أعمال هؤلاء الوافدين.

من هم هؤلاء المبشرون ؟

لم يتعرّف بولس الى مناوئيه شخصياً (غلا ١: ٧ ؛ ٥: ٧،١٢ ؛ ٦: ١٢ت ؛ فيل ٣: ٢،٤ ؛ رو ١٦: ١٧ت)، ولكن بمقدور القارئ أن يفهم من خلال تركيز الرسول على مسألة الختان (غلا ٥: ٢، ١٢ ؛ ٦: ١٢ ؛ فيل ٣: ٢-٥)، وهو الذي اختبر موقف معارضيه من خلال مجمع أورشليم، ومن خلال

---

[1] تكشف لنا غلاطية ١ :١١ – ٢ : ١٤ معلومات هامة تتعلق ببولس والكنائس الأولى. لقد كان بولس يهودياً ، فريسياً متعصّباً لدينه (فيل ٣: ٥-٦) أميناً للتقاليد اليهودية وغيوراً لها لدرجة اضطهاده للكنيسة. وقد بدأ رسالته بعد اهتدائه دون العودة الى رؤساء كنائس اليهودية، مع تأكيده بأن هذه الكنائس كانت تؤيّد عمله (غلا ١: ٢٣ -٢٤). ويُظهر وصف مجمع اورشليم ان الاختلاف حول تعليم بولس كان قد بدأ منذ وقت طويل (غلا ٢: ١-١٠ راجع أعما١١: ٣٠؛ ١٥؛ ١٨: ٢٢). فمع أن بولس كان قد قرّر "بوحي" الذهاب الى أورشليم، يبدو بأن هذا اللقاء قد تم بناء على دعوة من رؤساء كنيسة أورشليم لتقييم صحّة تعليمه وصحة إنجيله، الذي لا يفرض على الوثنيين الختان واتباع الشريعة كشرط لاعتناقهم المسيحية. لقد كان من شأن هذا الأمر أن يخلق انقساماً في داخل الكنيسة الأولى، فما كان من يعقوب وبطرس ويوحنا، وبالرغم من اعتراض بعض الإخوة، إلا أن قرروا الإعتراف بصحة خطيّ الإنجيل، فاتفقوا على تقاسم المهمة الرسولية بحيث يهتم بطرس ويعقوب ويوحنا **بتبشير اليهود بالإنجيل وبالشريعة**، ويهتم بولس وبرنابا **بتبشير الوثنيين بالإنجيل دون الشريعة**، وتمّتم الكنائس المنبثقة من أصل وثني بمساعدة كنيسة اورشليم مادياً. كانت هذه المساعدة المادية التي شاركت فيها كنائس غلاطية (١ كور ١٦: ١) مهمة جداً لأنها من جهة شكّلت امام بولس علامة حسيّة تؤكد وحدة الكنائس رغم شكل الإنجيل المزدوج، ولأنها من جهة ثانية تذكير بأن كنيسة أورشليم قد اعترفت بصحّة إنجيل بولس المتحرر من الشريعة.

[2] نجد في وصف الخلاف بين بطرس وبولس في غلاطية ٢ :١١-١٤ تأكيداً على هشاشة الصلة التي تربط بين الجماعتين المنبثقتين من اتفاق مجمع أورشليم فالمسيحيين اليهود لا يستطيعون تناول الطعام مع المسيحيين الوثنيين بسبب عدم مراعاة هؤلاء لأحكام الطهارة التي تفرضها الشريعة . وفي حين ظهر حدث تناول بطرس الطعام مع المسيحيين الوثنيين وكأنه خطوة كبيرة نحو الوحدة، ما لبثت هذه الخطوة أن تعثّرت ما إن قدِم "*قوم من عند يعقوب*" فانفصل بطرس عنهم وجاراه سائر اليهود (غلا ٢: ١٢-١٣)، فوجد بولس نفسه وحيداً حتى أن برنابا نفسه تركه، وأصبح اليهودي الوحيد الذي يبشّر الوثنيين بالانجيل دون الشريعة.

حياته الدينية الفريسية السابقة الملتزمة بالشريعة، ان المنادين بالعودة الى الشريعة هم جماعة أصولية في قلب الجماعة المسيحية اليهودية، والتي تضم بشكل عام الجماعة الفلسطينية والجماعات الجليلية وجماعة إسطفانوس والجماعات التي كانت قد بدأت بالظهور في الإسكندرية وأفسس وروما، إضافة الى المناوئين لبولس في جماعة الرسل وفي غلاطية وفيليبي وكورنتس (٢ كور ١٠-١٣). لقد بدأت المسيحية كمسيحية يهودية، فإذا بالرسالة الإنطاكيّة، ومن ثم برسالة بولس المستقلة، يبدوان كالاستثناء الذي قرّر تركيز رسالات مسيحية وثنية. وقد تسبب النجاح غير المنتظر الذي حققته الرسالة بين الوثنيين ببعض النزاعات بين المسيحيين اليهود والمسيحيين الوثنيين التي رافقت الجيل المسيحي الأول.

يبدو عملياً بأن الداعين الى مراعاة الشريعة لم يقبلوا بالاستسلام لقرارات مجمع أورشليم، فلم تكن مداخلات يعقوب كافية بالنسبة لهم ، لأنه لا يحق للمسيحية بنظرهم أن تقبل بالتحرر من الشريعة الى هذا الحد. ولا يجوز ان يُقبل الوثنيون كمسيحيين إلا إذا إختتنوا. وبالتالي فإنه من الممكن أن يكون قسم من الجماعة المعارضة في أورشليم قد أرسلت بعض ممثليها على خطى بولس بعد فشل مداخلتهم في المجمع الرسولي (غلا٢ : ٤) للأخذ بالثأر.

إن المبشرين غرباء أذاً عن الجماعات الغلاطية، ويبدو وكأن بولس يشير الى شخصية مهمة هي في أساس تدخّلهم عندما يتكلم عن "*من يوقع البلبلة بينكم ... أيّا كان*" (غلا ٥: ١٠). فالمقابلة مع العبارة التي يستعملها بولس بشأن رؤساء الجماعة الأورشليمية (غلا ٢: ٦) تجعلنا نعتقد بأنه يتكلم عنهم، وعن يعقوب بشكل خاص. لكن لا يجب أن ننسى بأن بولس يتكلم عن "أعمدة" أورشليم بطريقة تظهر إتفاقه معهم حول نقطة الخلاف المذكورة في هذه الرسالة (غلا ٢: ٣ ، ٧-١٠)

هدف الرسالة

لا تفيدنا الرسالة الى الغلاطيين علماً بالطريقة التي عرف فيها بولس هذه الأمور لكن يبدو أنه تحرك بسرعة أمام ما اعتبره خطراً كبيراً وتهديداً بالفشل التام لكل عمله. تظهر الرسالة الى غلاطية وكأنها أكثر من رسالة خاصة بمناسبة معيّنة، وقد كتبت بطريقة متقنة بحسب قواعد مدروسة، من جهة بهدف إقناع قرائه بحقه الإلهي بنشر "**إنجيله**" وبطلب الإلتزام به -لأنه لم يخن سلطات اورشليم لأنه لا يدين لهم بشيء، وقد اعترفوا بذاتهم بصحة تعاليمه- ؛ ومن جهة ثانية بهدف ردعهم عن الإلتزام بتبشير الآخرين و"**بالإنجيل الآخر**".

نجد في غلاطية ١ :٦-٩ مدخلاً لموضوع الرسالة، يهاجم فيه بولس مهاجميه ويطلق حكما مبرماً يختص بموضوع النقاش فيعارض "الإنجيل الآخر" الذي ليس بإنجيل، و يلعن الفئة المعارضة. منذ البدء إذاً يبدو جلياً ان موضوع الرسالة الرئيسي هو "**الإنجيل** " الذي أعلنه بولس للغلاطيين والتأكيد أن "**الإنجيل الآخر**" ليس إنجيلاً. والمحور هو الحرية في مقابل الشريعة (غلا ١: ١١ ،١٦ ؛ ٢ :٢ ،٥ ،١٤). فبولس

الذي حاول قديماً أن يقضي على جماعة الله بإسم الشريعة ، دعاه الله مباشرة لهذا الإنجيل الحرّ من الشريعة، من أجل الأمم. اعترف مسيحيو اليهودية بالمصدر الإلهي لدعوة بولس، وباستقلاليته كرسول بحيث انهم مجّدوا الله، مع انهم لم يكونوا قد تعرّفوا اليه شخصيّاً بعد (غلا ١ :١١-٢٤). وقد لقي إنجيل بشارة غير اليهود الاعتراف الكنسي الكامل أثناء مجمع أورشليم (غلا ٢ :١-١٠)، عندما اتفق "عمداء" الكنيسة وبعثة انطاكيا -وكان بولس المتكلم بإسمها- على أن "*الله عهد الى بولس تبشير غير اليهود، كما عهد الى بطرس تبشير اليهود، لأن الذي جعل بطرس رسولاً لليهود، جعل بولس رسولاً لغير اليهود*" (غلا ١ :٧-٨). إن المناوئين الآن لا يضربون عرض الحائط الأصل الإلهي لرسالة بولس وحسب، بل يعارضون الإجماع الكنسي بهذا الخصوص الذي لم يبرح بولس يدافع عنه رغم كل الضغوطات. فإن كان الإجماع قد خُرق عند زيارة بطرس الى انطاكيا (غلا ٢ :١١-٢١)، فإن بولس لم يتراجع قيد انملة عن حقيقة الإنجيل، فكيف له أن يتراجع أمام مناوئيه الآن؟

وبالفعل فإن بولس في غلاطية ١ :١١-٢ ،٢١ لا يعطي سوى مقاربة تاريخية للمسأله المطروحة، فهو لا يتناولها إلا من جهة خبرته الشخصية وحياته الخاصة بالعلاقة مع جوانب هذا الموضوع، فلا نجد مثلاً أي تلميح لعلاقة الغلاطيين "بالجماعة التي تثير البلبلة". وما سرده لحادثة الخلاف مع بطرس ولجوابه لهذا الأخير في غلاطية ٢ :١٤-٢١) سوى مقدمة لما سيبرهنه في رسالته عن صحة اعتقاده (غلا ٣ :١-٥، ١٢).

الإنجيل والإنجيل الآخر

كتب بولس هذه الرسالة بهدف إقناع قرّائه بنبذ "*الإنجيل الآخر*" والعودة إلى "*الإنجيل*"، وكأنه يناضل لارتدادهم إلى "*البشارة*" التي اقتنع بها وبشّرهم بها. يبدأ بولس بطرح المشكلة بإعلانه إن الغلاطيين قد عادوا عن الإنجيل الذي بشّرهم به ليتبنوا "*إنجيلاً آخر*" يعتبره شخصياً مغالطة لإنجيل المسيح (غلا١ :٦-١٠). يهدف القسم الأوّل من البرهان إلى إظهار أن بولس قد تلقى إنجيله مباشرةً من الله بواسطة "*وحي من يسوع المسيح*" فهو إذاً غير صادر عن البشر(١ :١١-١٧)؛ وبما أن صحة أعماله الرسوليّة الأولى معترف بها من قبل كنائس اليهوديّة (١ :١٨-٢٤)، فليس على الغلاطيين إذاً أن يعودوا عن إنجيل مصدره إلهيّ وتعترف به كنائس اليهوديّة. ويتوسع بولس في البرهان عينه في غلاطية ٢ :١ -١٤ حيث يُظهر أن يعقوب وبطرس ويوحنا قد أعلنوا صحة تعاليم بولس.

ونجد في غلاطية ٢: ١٥- ٥ :١٢ البرهان الرئيسي حيث يجتهد بولس في الإعلان للمسيحيين من أصل وثني بأن في التعلق بالشريعة تناقض مع الإنجيل الذي هو أولاً تحرير من كل عبوديّة بما فيها عبوديّة الشريعة. وبما أن المسيحيين من أصل وثني قد بُرّروا بالإيمان ونحن "*ننتظر على رجاء أن يبررنا الله بالإيمان بقدرة الروح*" (٥: ٥)، فعلى الغلاطيين إذاً أن ينبذوا الأشخاص الذين يفرضون عليهم الختان ومراعاة

الشريعة[٣]. لكن بولس كان قد قبل باتفاق أورشليم (٢: ٩) الذي يفترض صحة الشكلين اللذين اتخذهما الإنجيل (مع الشريعة يسانده يعقوب وبطرس ويوحنا ويعلنوه لليهود؛ ودون الشريعة يسانده بولس ويعلنه للوثنيين)، فلماذا يقبل بإنجيل مع الشريعة يبشر به بطرس، ويرفض الإنجيل مع الشريعة عندما يعلن للغلاطيين؟

إن الإنجيل الذي يبشر به بطرس، يُعلنه لليهود في حين أن من يبشّر الغلاطيين يتوجه إلى مسيحيين من أصل وثني. وفي حين يتّفق بطرس وبولس على أن شكلي الإنجيل (مع الشريعة ودون الشريعة) يلتقيان على مبدأ "الحرية"، يرى بولس أن اليهودية التي تركها، كما أن الوثنية التي عاد عنها الغلاطيّون، و"الإنجيل الآخر" الذي يتبعونه اليوم يلتقون عند نقطة واحدة هي استعباد الإنسان. وبالفعل فإن بولس يتكلم عن الفريسية وكأنها استعباد ديني "*كنا محبوسين بحراسة الشريعة*" (٣: ٢٣)؛ خاضعين "*بحراسة المؤدب*" (٣: ٢٥) إن لديانة الغلاطيين الوثنية، أو لغير عبودية "*كنتم عبيدا لآلهة، ما هي بالحقيقة آلهة*" (٤: ٨ راجع أيضاً ٤: ٣ ، ٩)، أو "للإنجيل الآخر" كما " الأغبياء" أو "المسحورين" (٣: ١) الذين يسعون ليكونوا مستعبدين من جديد (٤: ٩).

الإنجيل

يلخص بولس الإنجيل في بدء رسالته (غلا ١ :٤) بحيث يصف تأثيره على المؤمنين من أصل يهودي كما على من هم من أصل يوناني.

يعود بولس في القسم الأول الى ١ كور ١٥ ليعلن أن "*المسيح ضحّى بنفسه من أجل خطايانا*" وفي ذلك عودةً الى "*مات المسيح من أجل خطايانا كما في الكتب*" أي في الكتابات اليهودية. وبالفعل فالكنيسة الأولى كانت قد فهمت موت المسيح على ضوء الكتابات والنبوءات، وخاصةً على ضوء أشعيا ٥٣. فآية "*ضحّى المسيح بنفسه لأجل خطايانا*" تعبّر عن معنى موت المسيح كما فهمه المسيحيون من أصل يهودي.

---

[٣] تلمّح الرسالة إلى ثلاث ارتدادات: ارتداد بولس (واليهود الآخرون) إلى الإنجيل، ارتداد الغلاطيين من ديانتهم الوثنيّة القديمة :"*كيف تعودون على عبادة قوى الكون الأوّليّة الضعيفة الحقيرة وتريدون أن تعودوا عبيداً لها كما كنتم من قبل؟*" (٤: ٩).

ارتداد بولس	من الفرّيسيّة	إلى الإنجيل
ارتداد بولس واليهود الآخرون	من اليهوديّة	إلى الإنجيل مع الشريعة
ارتداد الغلاطيين	من الوثنيّة	إلى الإنجيل دون الشريعة
ارتداد الغلاطيين	من الإنجيل دون الشريعة	إلى إنجيل آخر
هدف الرسالة: ارتداد الغلاطيين	من الإنجيل الآخر	إلى الإنجيل دون الشريعة

أما في القسم الثاني فالتعابير مختلفة "*لينقذنا من هذا العالم الشرير*". وكلمة "*العالم*" ترجمة ل aiōn وهي كلمة يعرفها العالم الديني اليوناني جيداً (خاصة في عبادات ميترا)[٤]، وتعني "القوة"، أو "القوة الكونية. من هذا المنطلق، يمكننا أن نُفهم معنى الإنجيل لهؤلاء الغلاطيين الذين فهموا أن يسوع قد أنقذهم "*من هذا العالم الشرير*". لأنهم عرفوا على ضوء الإنجيل، أن القوى التي كانوا يؤمنون بها هي قوى ""شريرة".

يبدأ بولس رسالته إذاً بالتعبير عمّا يعني الإنجيل له هو المسيحي اليهودي، وعمّا يعني للغلاطيين قبل ارتدادهم إلى "الإنجيل الآخر"، ويعود إلى الأمر عينه في غلاطية ٤: ١-٧ ليُظهر كيف أن الإنجيل يتناقض مع دين بولس القديم ومع دين الغلاطيين القديم، فبالإنجيل تحرر كلا الشعبين من العبودية وأصبحا أبناء باستطاعتهم أن ينادوا الله "*أبّا أيها الآب*"(٤: ٥، ٧). تعبّر كل الرسالة إلى الغلاطيين أن الإنجيل قد هدم نهائياً كل اختلاف بين اليهود واليونانيين. فإن كان الإنجيل، يساوي بين المسيحيين من أصل يهودي وبين المسيحيين من أصل يوناني، فإن هذا ينطبق أيضاً على غير المهتدين بحيث يتساوى اليهود والوثنيون أيضاً لأنهم جميعاً عبيد مستعبدون. وإن كان لا معنى لهذا كله له بنظر الفريسيين الذين يجدون الفرق شاسعاً بينهم وبين الوثنيين، بحيث لا يبقى أي مجال للمقابلة، فإن بولس يؤكد أنهم في حالة واحدة "*لم يعد هناك يهودي ولا يوناني*"(٣: ٢٨) "*لأنكم جميعاً بالإيمان أبناء الله بالمسيح يسوع*" (٣: ٢٦) ولأن الجميع قد "*لبس المسيح*" (٣: ٢٧).

يشبّه بولس عودة الغلاطيين الى الشريعة وكأنها عودة إلى " *القوى الحقيرة والضعيفة* (غلا ٤: ٨- ١٠) أي إن هذا "الإنجيل الآخر" ليس بنظر بولس إلا مرادفاً لديانتهم الكونية القديمة. من هنا يصبح قادراً على تناول الديانتين في غلاطية ٤ :١. وبدل أن يتكلم بألفاظ يهودية في معرض كلامه عن الأعياد اليهوديّة التي تفرضها الشريعة، نجده يستعمل في وصفه الأعياد التي يراعيها الغلاطيون ألفاظاً مستوحاة من الأعياد والطقوس الطبيعيّة ليؤكد مرة أخرى ان "الإنجيل الآخر" موازٍ للديانة اليونانية لأن كليهما استعباد (٤: ٩) يتناقض مع الإنجيل وحريته (٥: ١). ولكن بأي معنى الإنجيل هو حرية؟ وبأي معنى الديانات الأخرى هي عبودية ؟

حرية الإنجيل وعبودية الديانات الأخرى

يبدو ان بولس كان مقتنعاً بأن الغلاطيين هم تحت تأثير قوة شريرة ساحرة (غلا ٣: ١) وإلا فكيف استطاعوا نبذ هذا الإنجيل الذي منحهم كل ما منحهم؟ فكما تبعوا الإنجيل تحت تأثير قوة الروح

[٤] كان الغلاطيون قبل ارتدادهم يتبعون إحدى الديانات الكونية اليونانية (غلا٤: ٣، ٩)، حيث يُعتبر النظام الكوني نظاماً إلهياً ومطلقاً، يرسم قدر الإنسان ويسيّره. راجع H.D BETZ, Galatian, A Commentary on Paul's letter to the churches in. Galatia, Hermeneia, Philadelphia, Fortress Press, 1979, p. 41-43.

الذي تدخّل في حياتهم (غلا ٣: ٢-٥)، يبدو أنهم غيّروا قناعتهم تحت تأثير "*وحي روح شرير*" ، لأن من يؤمن فعلاً بقوة الإنجيل، لا يمكن أن يرتد عنه إلا إن كان مسحوراً تحت قوة أخرى. إن الإنجيل هو حرية لأنه يحرّر المؤمنين من قناعات خاطئة تؤثّر عليهم بواسطة القوى الشريرة من حيثما أتت.

يستند بولس في ذلك على إختباره الشخصي، فهو يعتبر نفسه تحت قوة الإنجيل ووحي يسوع المسيح (غلا١: ١٠-١٦)، ويؤكد أن الله كشف له عن ابنه وعن الإنجيل فعرف البشارة وتغيّرت علاقته بالله. من خلال اختباره هذا، استنتج بولس ان لإنجيل المسيح القوة على إخضاعه، وبدأ بالتالي بقراءة كامل حياته على ضوء الإنجيل، فتوحّدت كل عناصرها بحيث أصبح للمسيح الدور الأهم فيها.

يكتب بولس في نهاية رسالته "*أحمل في جسدي سمات الإنجيل*" (غلا ٦: ١٧). وعبارة سمات تترجم عبارة يونانية تعني ما يحمله العبيد من علامات تدل الى تبعيتهم لسيّد معيّن، وفي ذلك عودة الى تعريف بولس عن نفسه في بداية الرسالة على انه "*عبد يسوع المسيح*" (غلا ١: ١٠)، وتأكيد لاعتباره المؤمنين كمن "*هم للمسيح يسوع*" (٥: ٢٤) وفي ذلك تعبير عن قوة مفاعيل الإنجيل على المؤمنين. فلأنه تحت تأثير قوة الإنجيل، يرفض بولس كل قناعاته القديمة، وإيمانه الفريسي، وقد أعلن ذلك في فيلبي ٣: ٧ بقوله "*كل ما كان لي من ربح عددته خسراناً لأربح المسيح*"، ويؤكّد في غلاطية ٢: ١٩ انه "*مات عن الشريعة*" التي تشكّل جوهر الإيمان الفريسي. لقد حرّره إنجيل المسيح وأعطاه هوية جديدة جاعلاً منه رسولاً للأمم.

الإنجيل الآخر

لا يكمن الاختلاف بين الإنجيل و"الإنجيل الآخر" بالإيمان بالإله الواحد، فاليهود يؤمنون بإله واحد حق، بل هو يكمن بكيفية العبادة وخدمة الله، أي بالطريقة التي يعمل فيها الإنجيل. هذا "الإنجيل الآخر" مرفوض تماماً وبعنف، ولا أمل أبداً لمن يلتزمون به لأنهم "ملعونون" (غلا ١: ٨). إنه إنجيل خاطئ، وعلاقته بالإنجيل الحق سلبية رغم ما يجمع بينهما ظاهرياً. وإن كان الإنجيلان يناديان بعقائد واحدة حول علاقة الإنسانية بالله الواحد، وحول شخص يسوع المسيح، فالمنادون بالإنجيل الآخر يسعون الى رضا الناس بدل رضا الله (غلا ١: ١٠)،لأنهم ينسبون التبرير والخلاص للإنسان وأعماله، وكأن المسيح قد مات عبثاً بدل أن يموت لينقذنا (غلا ٢: ٢١).

يشكّل الختان سمة الاختيار للعهد مع الله، وهو العلامة التي تميّزاليهود عن الأمم. فدون الختان لا شراكة في الخلاص الذي يعطيه الله بالاختيار الذي وعد به الله إبراهيم. وغير المختونين لا يستطيعون إذاً الحصول على بركة إبراهيم، فالجماعة المسيحية – الوثنية هي بالتالي استحالة لاهوتية، لأنه لا يمكن للمسيحيين أن يدخلوا في تاريخ اختيار الله لشعب إسرائيل إلا أن التزموا جسدياً بهذا الشعب من خلال ممارستهم للختان. إن غير المسيحيين الذين لا يراعون شريعة الختان يفصلون ذواتهم عن إطار هذا الخلاص. وفي

ذلك تأكيد للخط اليهودي الذي يؤكد الخلاف الجوهري بين إسرائيل والأمم، أي بين الشعب المختار والوثنين الخطأة (رو ٩ :٣-٥ ؛ غلا ٢: ١٥) الخ.

إختيار الله والتبرير

إن الرسالة الى غلاطية هي رسالة دفاعية يحكمها الإختيار الإلهي الذي يجد قمته في لاهوت الصليب. وبولس واضح بهذا الخصوص. لقد دعا الله الغلاطيين بالإنجيل الى حالة خلاص جديدة (غلا ١: ٦ت ؛ ٥، ٨)، هي حالة "نعمة المسيح" أو "نعمة الله" (غلا ١: ٦ ؛ ٢: ٢١ ؛ ٥: ٤).والأساس الوحيد لهذه الحالة (غلا ٦: ١٤) هو "صليب ربنا يسوع المسيح" (غلا ٦: ١٤). وها ان الغلاطيين قد انفصلوا ربما عن هذه النعمة (غلا ١: ٦؛ ٥: ٤) لأن جماعة من اليهود قد بلبلتهم (غلا ١: ٧؛ ٣: ١؛ ٥: ١٠)، فأزالوا عائق الصليب" (غلا ٥: ١١) لظنهم بأن انجيل بولس بحاجة الى ما يكمله (غلا ٥: ٣ ؛ ٦: ١٢) لأنه لا يمكن لإختيار الله للوثنيين بالإنجيل أن يكون فاعلاً إلا إن أعادهم الختان الى شريعة إسرائيل. إن إسرائيل نفسه الذي اختاره الله بالعهد مع ابراهيم كان بحاجة الى الشريعة.

يتمحور إختيار الله لشعبه حول إبراهيم وذريته، ولا تستطيع الأمم أن تشارك به إلا من خلال الختان، . لقد فهم أعداء بولس نص تكوين ١٥، ٦، المتعلق بايمان ابراهيم، بمعنى الأمانة للشريعة التي تقود وحدها الى الله وهو التبرير، ولا معنى بنظرهم للإختيار الإلهي للأمم إلا كتكملة للإختيار الخاص لإسرائيل والذي لا يتعلق إلا بابراهيم وذريته (أي الأسباط الإثني عشر)، وكأن هذا الاختيار لا يشمل الوثنيين إلا بصورة استثنائية وبواسطة الختان. فإن كان الله قد اختار إسرائيل وأعطاه الشريعة، فلمَ يغيّر طريقته مع الوثنيين فيختارهم دون أن يفرض شريعته عليهم؟

بهذا نفهم لماذا يعلّم بولس طريقة جديدة (وكأنها طريقة المسيحيين من أصل وثني) في فهم إبراهيم (غلا ٣: ٦ت)، مخفِّفاً من قيمة الانتساب الى ذرية بشرية ليشدد على النسب إلى إبراهيم بالمعنى المجازي. أعطى بولس شرحاً جديداً لابرهيم واختياره من قبل الله، إنطلاقاً من لاهوت الصليب (غلا٦: ٢)، الذي جعل الانسان "*يموت عن الشريعة ليحيا لله*" (غلا ٢: ١٩). ويشرح بولس هذه العبارة في غلاطية ٤: ١ بمعنى التحرر من عبودية الشريعة والارتفاع الى حالة الابن الحرّ القادر على الوصول المباشر لله. ان الفعل الالهي الخالق بنعمة الإنجيل كافٍ وحده للتبرير بحسب بولس، فإن كان مناوؤوه يبشرون بأن النعمة غير كافية وبأنها بحاجة للشريعة، فإن ذلك يعني بأنهم يبشرون بأن عمل الله الخالق لا يكفي لخلاص الانسان بل يفترض زيادة العمل بأحكام الشريعة للوصول الى التبرير. إنهم يقيسون الجديد، أي المسيح، على ما هو قديم ، ويجعلون من عهد الله مع إسرائيل ومن الشريعه الحدث الأساسي الذي يمكّن من فهم الله. فالاختيار، بحسب مفهوم بولس، ليس حدثاً قديماً حصل بإبراهيم فقط، بل إن الله بطريقة جديدة وخاصة اختار بالإنجيل الأمم جميعاً (غلا ٣: ١-٥). أن نعرف الله بالنسبة الى بولس هو أن نعرف يسوع المسيح.

ولا شيء يمكّن المؤمن من فهم اختيار ابراهيم وشريعة موسى، إلا بشارة الإيمان المرتكزة على حدث يسوع، عندها فقط يعرف المؤمن ويتأكد من أن عطية الإنجيل والروح كافية وحدها للخلاص لأن الابن قادر على الوصول المباشر لله المخلِّص. وكل عودة الى الوراء هي هدم لكل ما حققه الله بيسوع. فمن يرى في الشريعة جزءاً لا يتجزّأ من العهد ويؤمن بأن من يتمم الشريعة يحصل على نعمة الاختيار الإلهي، يعطي للشريعة مكاناً لا يعود اليها. فالجمع بين العهد والشريعة كطريق للخلاص ينسب "*لأعمال الشريعة*" أهمية لا وجود لها بنظر الرسول، ومن يعمل بهذا ينتظر أن "*يتبرر بالشريعة*" (غلا ٢: ٢١ ؛ ٥: ٤ت)، إنه يرتكز على ممارسته للشريعة ويرفض أن ينسب فخر الخلاص للمسيح وحده (غلا ٦: ١٣ت). إنسان كهذا لا يكفيه أن يكون مبرراً بالمسيح (غلا ٢: ١٧)، ولا يقبل بنعمة الصليب وحدها بل ينسب جزءاً من الخلاص الى الشريعة.

من هنا يشدد بولس على التأكيد ان الغلاطيين لم يحصلوا على الروح بسبب "*أعمال الشريعة*" بل "*بسبب إيمانهم بالبشارة*" (غلا ٣: ٢) وإن كان برهان من يعملون ضد بولس يقوم على اختيار الله لاسرائيل بابراهيم، فإن بولس يؤكد ان الله اله ابراهيم هو الذي يختار الآن بالانجيل ليؤسس جماعة اسكاتولوجية. فابراهيم ليس إلا من قَبِل وعد الله (غلا ٣: ٨ ؛راجع تك ١٢: ٣ ؛ ١٨:١٨) هو "*من آمن فعدّ له ذلك براً*" (غلا ٣: ٦ راجع تك ١٥: ٦) وهذه حالة كل مؤمن تحت نعمة الإنجيل، لأنه مع يسوع أصبح الإنجيل هو الذي يدعو الشعوب جميعاً للإيمان والذي يبارك المؤمنين بإعطائهم الروح (غلا ٣: ٩،١٤). فيجب على المؤمن إذاً ان يفهم أن المؤمنين بالإنجيل هم الذين يتلقون البركة الموعودة أي هبة الروح وبالتالي التبرير لأن الروح هو الذي يبرر. فالإيمان، كحياة بحسب الإنجيل، هو التبرير إذاً لأنه يعني علاقة حميمة بالله، ومراعاة الختان أو الشريعة تصبح بالتالي مناقضة للإنجيل، وتصبح الطقوس والعبادات التي تفرضها الشريعة مرادفة للطقوس الوثنية(غلا ٤: ٨) لأنه بالمسيح انتهى الزمن الذي كان يجب على المؤمن الإلتزام بها. إن في المحبة تتميماً للشريعة (غلا ٥: ١٤). وإن كانت الشريعة تأتي الانسان من الخارج كفريضة غريبة عنه (غلا ٣: ٢٣)، فإن الروح يعمل من داخل الانسان ليقوده الى الله مباشرة[٥].

---

[٥] يهتمّ بولس من خلال سلسلتين من البراهين، الأولى في غلاطية ٣ :١-٤،٧ والثانية في ٤ :٨-٣١ بالبرهان ان الشريعة لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تغيّر الإنجيل (وهو الوعد الحقيقي لإبراهيم)، ولا أن تنافسه لا من حيث المضمون ولا من حيث المفعول. ويجتهد بالتأكيد للغلاطيين كيف ان الروح قد نقلهم من حالة المستعبدين الى حالة الأبناء الورثة، فما عودتهم الى خدمة الشريعة إلا عودة الى حالة تخطّوها وتخلّصوا منها منذ زمن. في السلسلة البرهانية الأولى يستجوب بولس الشهود بإعادة الغلاطيين الى بدء حياتهم المسيحية (٣ :١-٥)، فيستند الى الإنجيل من حيث تأثيراته، أي من حيث نيل الغلاطيين الروح الذي حرّرهم من الخطيئة، ويسألهم إن كانوا يريدون أن ينتهوا بالجسد بعدما بدأوا بالروح. ثم يلجأ بعد ذلك الى الشروحات الكتابية فيعطي ستة مراجع يبدو ابراهيم في وسطها (غلا٣ :٦-٩ ؛ ٣ :١٠-١٤). وفي السلسلة الثانية يعود بولس من جديد الى استجواب الغلاطيين (غلا ٤ :٨-١١ ؛ ٤ :١٢-٢٠)، فيذكر قصة الجماعة واستقبالها له، قبل أن يلجأ من جديد الى البراهين الكتابية (غلا ٤ :٢١-٣١)، ليختم كما في السلسلة الأولى. وفي ختام براهينه (غلا ٥ :١-٦ ؛ ٥ :٦-١٢) يستحلف بولس الغلاطيين بعودة الجماعة الى خط الإنجيل المحرِّر من الشريعة، ويحكم على مناوئيه بقسوة (غلا ٥ :١٢) بعد أن كان قد لعنهم في غلاطية ١: ٩.

الشريعة المسيحية

ربما نتفاجأ بكون الرسالة الى الغلاطيين لا تعلمنا شيئاً واضحاً عن مسيحانية هؤلاء المنادين بالشريعة، لكن الواضح هو أن مسيحانيه بولس تناقض مفهوم مناوئيه للشريعة. فالشريعة بالنسبة لهؤلاء هي نقطة الانطلاق، ولا يقوم عمل المسيح إلا بإكمال خطها وخط الاختيار الإلهي لإسرائيل، وبدعمه. فالشريعة وحدها بالنسبة للمنادين بها هي وعد الحياة (٣ :١٢)، وكل من لا يعمل بأحكامها يتعرّض للعنتها (غلا٣ :١٠). من هنا يمكننا أن نفهم اللوم الذي وجّهه المسيحيون اليهود إلى بولس متّهمينه بجعل المسيح "*خادماً للخطيئة*" (٢ :١٧) بنزع كل قيمة عن الشريعة. فقد خفّض بولس بنظرهم قيمة الاختيار الذي رسمه الله، عندما سمح للأمم بحياة لا تخاضع للشريعة، أي بعدم الإلتزام بإرادة الله المعلنة .

لذلك كان على بولس أن يكتب بطريقة توضح الأحكام المفروضة على المسيحيين في حياتهم الجديدة المتحررة من سلطة الشريعة والمبنية على أسس جديدة (غلا ٥: ١٣-٦: ١٠). فإن كان المنادون بالشريعة يعتبرون الشريعة مقياساً للمسيح والمسيحية، فبولس يؤمن بأن مقياس الشريعة والمسيحية هو المسيح وحده (غلا ٢: ٢١ مقابل ٢: ١٧). وإن كانت إعادة الغلاطيين الى الخضوع لسلطة الشريعة هي بالنسبة له طريق بشرية (غلا ٣: ٣) يمكن تشبيهها بتصرّف الوثنيين في طقوس الآلهة (غلا ٤: ٨ت)، فالتحرر من الشريعة لا يعني انتفاء كل فرض واجب ؛ والسير بحسب الروح لا يعني جعل المسيح خادماً للخطيئة، لأن المسيحي ملزم بأحكام مسيحية (غلا ٥: ١٣-٦: ١٠)، والحرية فرصة ودعوة للمحبة. نحن أمام شريعة أخرى: "*شريعة المسيح*" (٦: ٢) بالروح القدس "*أثمروا ثمر الروح وعلى رأسها المحبة*" (٥: ٢١-٢٣ راجع ٥: ١٣-١٤).